

التركيب والنهج التاريخي

Structure and Historical Approach

إعداد الباحثة/ رشيدة الزعيم

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية

Email: racharoma@gmail.com

الملخص:

يتناول هذا المقال مكانة التركيب ضمن خطوات التفكير التاريخي، حيث تطرقنا إلى الخطوات الرئيسية في التفكير التاريخي، انطلاقاً من الإشكالية باعتبارها نقطة الانطلاق لجميع عمليات التفكير التاريخي، فبدونها ليس هناك تاريخ، لأنها النواة الصلبة التي ينطلق منها المؤرخ للإجابة عن أسئلته، من خلال اختيار الموضوع وتحديد مجال اشتغاله وصياغة الأسئلة والفرضيات التي سينطلق منها.

ثم التوثيق أو الاستكشاف الوثائقي وهي المرحلة التي يبحث فيها المؤرخ عن وثائق وشهادات لأنها صلة الوصل بين الماضي وموضوعه. بعدها نجد التعريف وهي مرحلة إطلاق اسم على حادثة معينة. وهي المرحلة التي تتفرع عنها باقي العمليات الفكرية ففيها يعمل المؤرخ على تحليل الوثائق قصد التعريف بالأحداث ووضعها في سياقها التاريخي وفق ما يتلاءم والإشكالية التي انطلق منها.

بعد التعريف نجد التفسير أي مرحلة الإجابة عن سؤال " لماذا"، حيث يعمل المؤرخ على ترتيب الأحداث وإيجاد العلاقات الرابطة بين الأحداث ومسبباتها. ثم نجد المفهمة من خلال اشتغال المؤرخ بالمفاهيم وعليها وهي عملية تخرق جميع مراحل التفكير التاريخي، سواء اشتغل المؤرخ بمفاهيم تنتمي للسجل التاريخي أو استعان بمفاهيم من حقول معرفية أخرى. حيث خلصنا إلى أن التركيب التاريخي يخرق جميع العمليات الفكرية. ولا يمكن أن نسلم بأن هذه العمليات تتم بشكل خطي بل هي عمليات ذهنية متداخلة والفصل بينها لا يعدو أن يكون فصلاً منهجياً فقط.

الكلمات المفتاحية: التركيب التاريخي، النهج التاريخي، المؤرخ، التاريخ

Structure and Historical Approach

Abstract:

This article deals with the place of synthesis within the steps of historical thinking, where we touched on the main steps in historical thinking starting from the problematic as the starting point for all historical thinking processes, without it, there is no history, because it is the solid nucleus from which the historian starts to answer his questions, through choosing the topic, determining its field of work and formulating questions and hypotheses from which he will start.

Then documentation or documentary exploration, which is the stage in which the historian searches for documents and testimonies because it is the link between the past and its subject. Then we find the definition, which is the stage of giving a name to a specific incident. It is the stage from which the rest of the intellectual processes branch off, in which the historian works on analyzing the documents in order to define the events and put them in their historical context according to what fits the problematic from which he started.

After the definition, we find the interpretation, i.e., the stage of answering the “why” question, where the historian works on arranging the events and finding the links between the events and their causes. Then we find the conceptualization through the historian’s engagement with concepts and on them, a process that penetrates all stages of historical thinking, whether the historian works with concepts belonging to the historical register or uses concepts from other fields of knowledge.

Where we concluded that the historical synthesis penetrates all intellectual processes. We cannot accept that these processes are done in a linear manner, but rather they are overlapping mental processes, and the separation between them is nothing more than a systematic separation only.

Keywords: The synthesis in history, Historical Approach, the historian, history

تمهيد:

تقوم مناهج البحث العلمي كل حسب مجال تخصصه، على مجموعة من الخطوات المتسلسلة والمراحل التي تفيد في الوصول للنتيجة المرتبطة بالبحث، وهذا الشيء بالتأكيد ينطبق على المنهج التاريخي، الذي يقوم على عدد من الخطوات التي نسلكتها للوصول إلى معرفة تاريخية. وكذا لبناء دراسة ناجحة ومميزة في حال اتباعها. وقد اختلفت الدراسات التي تناولت خطوات النهج التاريخي في ترتيب هاته الخطوات فهناك من يرى بأنها تتم بطريقة خطية، وهناك من يرى أنها تتم بطريقة لولبية. وأن الفصل بين هاته العمليات الذهنية منهجي فقط. إذن ما هو موقع التركيب ضمن خطوات النهج التاريخي؟

أهمية البحث وأهدافه:

-تتناول موضوعا مهما وجديدا يخص المهتمين بحقل التاريخ "فعملية التركيب" عنصر أساسي في تعلم التفكير التاريخي.
-افتقار الساحة التربوية إلى دراسات علمية خاصة بتعلم التركيب التاريخي.
-الاشتغال على إحدى أهم العمليات الفكرية التي تتطلبها المعرفة التاريخية ألا وهي مهارة التركيب.
-تناول مكانة التركيب التاريخي ضمن خطوات تعلم التاريخ.
-يشكل البحث إضافة لباقي الدراسات التي اشتغلت على خطوات النهج التاريخي بالمغرب، التعريف لمحمد العربي الصديقي، والتفسير لشكير عكي.

منهج البحث:

استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهداف البحث والإجابة عن تساؤلاته، وهذا المنهج يعبر عن الظاهرة المراد دراستها كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا، وهو ما يتناسب مع طبيعة موضوع البحث.

1- التركيب التاريخي والأشكلة

ظهرت الأشكلة التاريخية مع التطور الذي عرفه التاريخ في إطار ما يعرف بالتاريخ الجديد فأصبحت قاعدة أساسية ونواة صلبة لجميع عمليات التفكير التاريخي، فبدونها ليس هناك تاريخ (عكي، 2010\2011، ص46). باعتبارها الحجر الأساس ونقطة الانطلاق للبحث عن أجوبة لأسئلة المؤرخ. ويمكن اعتبار الأشكلة كقطيعة إستراتيجية، وتحديد معمق بين الاتجاه الوضعي المعتمد على الوثائق والتاريخ الجديد، الذي ركز على قضايا المجتمع والاقتصاد على حساب الجانب السياسي والعسكري. فالاتجاه الأول يقوم على جمع آثار الماضي ومصادره، أما الاتجاه الثاني (التاريخ الجديد). فالتاريخ يقوم على العلاقة الجدلية بين ذات المؤرخ والماضي موضوع البحث، من خلال اختيار الموضوع وانتقاء الوثائق والشواهد، باعتبار أن قيمة الوثائق لا تتحدد إلا من خلال قيمة المشكلة المطروحة (العلوي الأمراني، 2006، ص 7). حيث ينقياها انطلاقا من اهتماماته وتطلعاته التاريخية وكذا خلفيته العلمية.

فالمؤرخ يعمل على تحليل الوثائق ووضعها في سياقها التاريخي لتلائم السؤال المركزي التي انطلق منها باتباع ثلاث خطوات رئيسية: تفهيمية ثم انتقائية ثم نقدية (حسني، 2021، ص95).

القابلية للفهم:

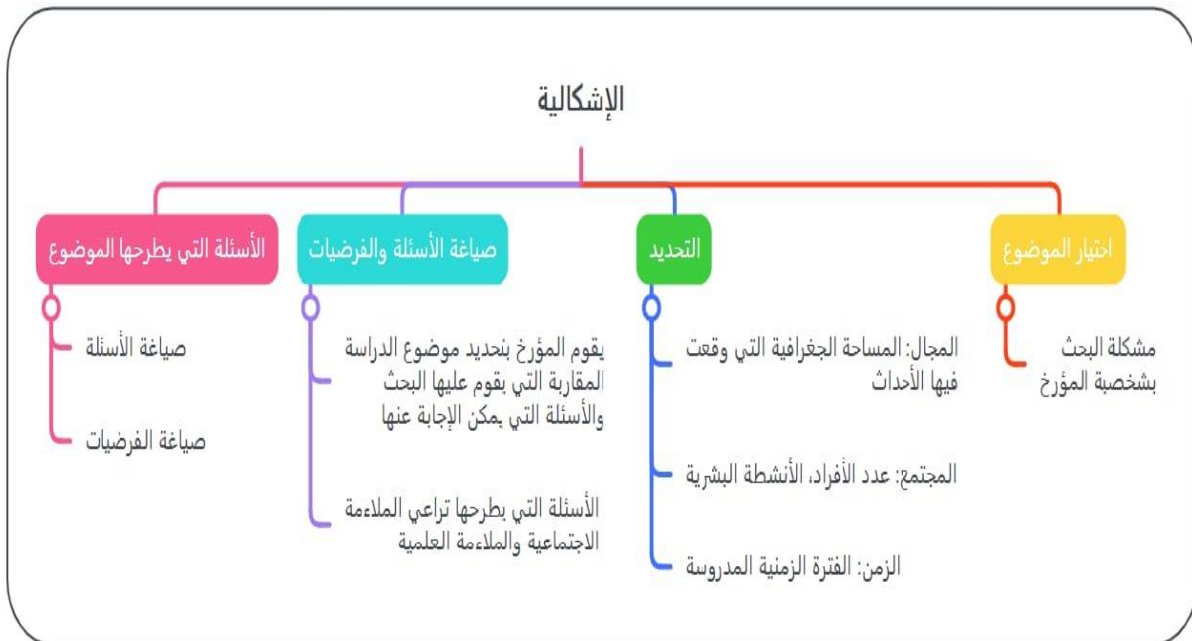
فهم الأحداث يتوقف على وضوح الوثائق باختلافها سواء مكتوبة أو مسموعة أو مصورة، من جهة، ومن جهة ثانية، المفهومية تتوقف على ثقافة المؤرخ وقدرته على فهم الأحداث ووضعها في سياقها التاريخي.

ملائمة الأحداث:

أمام الكم الهائل للأحداث كان على المؤرخ انتقاء أحداث لتلائم موضع بحثه، في صلب هذا الانتقاء هناك تقييم لأحداث من حيث أهميتها وقيمتها، فالأحداث الملئمة هي التي تسمح بتأكيد أو نفي أو تعديل فرضيات البحث والتي لها علاقة بالمشكل المطروح (عكي، 2010/2011، ص49).

ويمكن القول إن لا تركيب بدون أشكلة، فهي نواة البحث الصلبة والتي تنطلق منها باقي المراحل، فالمؤرخ يقوم بتفكيك بحثه وإعادة تركيبه وترتيبه في إطار مشكل وفرضية مع تحويله في الأخير الى مشروع وفق مقارنته في إطار جدلية ذات المؤرخ وموضوع. وأن الانطلاق من أشكلة جيدة وواضحة بالضرورة سيمكننا من تركيب جيد ومنسجم شريطة توفر الوثائق الملئمة.

شكل (1) عناصر الإشكالية



2. التركيب التاريخي والتوثيق

التاريخ لا يكتب من فراغ، فالباحث في التاريخ يتوجب عليه أن يبحث وثائق وشهادات، ويفحصها ويمحصها ويقوم بنقدها. فالتوثيق مسألة ضرورية في عمل المؤرخ فهي الكفيلة بالإجابة على أسئلته، فهي صلة الوصل بين الماضي وموضوعه. وقد أورد حسني إدريسي تشبيهه بليغ لقيمة الوثائق في كتابة التاريخ " لا يستطيع أن يتحدث إلا بالشهود،

مثله مثل قاضي التحقيق الذي يسعى جاهداً، استناداً إلى المؤشرات والشهادات، لإعادة تمثيل جريمة لم يشاهدها" (حسني، 2021، ص 84). أي أنها هي الدليل والحجبة على ما توصل إليه المؤرخ.

فالتاريخ يكتب انطلاقاً من وثائق باختلاف أنواعها المكتوبة والشفهية والمسموعة، فعندما ينطلق المؤرخ من إشكال معين لا بد له من وثائق تجيب عن أسئلته، فكلما توفر المؤرخ على وثائق متنوعة كلما كانت فرصته أكبر في بناء تراكيب أكثر انسجاماً.

وقد ميز حسني بين ثلاثة أنواع من المصادر، فهناك المصادر الذاكراتية والمصادر المادية والمصادر التاريخية. غير أنه من بين المشاكل التي تواجه المؤرخ هي قلة الوثائق أو وجود بياضات أو أحداث مسكوت عنها، انعدام وثائق ملائمة للإشكالية المطروح، و يمكن القول أن التركيب مرتبط بالتوثيق، فتركيبات المؤرخ هي تركيبات جديدة للماضي، أساسها الأحداث وليس الخيال، أي مرحلة بروز الجانب الفني للمؤرخ كما يقول العروي. (العروي، 2005، ص 244).

وبالتالي فالخروج بتركيب للأحداث في قالب منسجم يقتضي التوفر على وثائق توصل إليها عبر مرحلة التوثيق. وكذا ملاءمتها للأسئلة التي انطلق منها.

3. التركيب والتعريف التاريخي

مرحلة التعريف ويسميتها العروي "العنونة"، وهي عملية إطلاق اسم على حادثة معينة وهذا ليس بالشيء الهين، فكما ذكر العروي فعمل المؤرخ يتلخص في نعت الحدث (العروي، 2005، ص 243). وهي من العمليات المهمة سواء بالنسبة للمؤرخ أو الديدانكي، فهي المرحلة التي تنفرع عنها باقي العمليات الفكرية. فهي المرحلة التي تسبق تفسير الأحداث، ويتم خلالها تعريف الأحداث وتمحيص الفرضيات.

ففي هذه المرحلة يعمل المؤرخ على تحليل الوثائق قصد التعريف بالأحداث ووضعها في سياقها التاريخي وفق ما يتلاءم والإشكالية التي انطلق منها.

عموماً لا يمكن اعتبار مرحلة التعريف سابقة عن التركيب، أي الانطلاق من الخاص في اتجاه العام (التألفة)، ولا العكس، بل هما عمليتان (التعريف، التركيب) متداخلتان في حركة دورانية تنطلق من المفهوم باعتماد الأبعاد الثلاثة للتاريخ وهي الزمن والمجال والمجتمع.

4. التركيب والتفسير التاريخي

يمكن اعتبار مرحلة التفسير مرحلة التوازن ضمن هذه المراحل، نظراً لمكانتها الأساسية ضمن مسار الفكر التاريخي، وبأن الخطوات التي سبقتها (الأشكلة، التوثيق، التعريف)

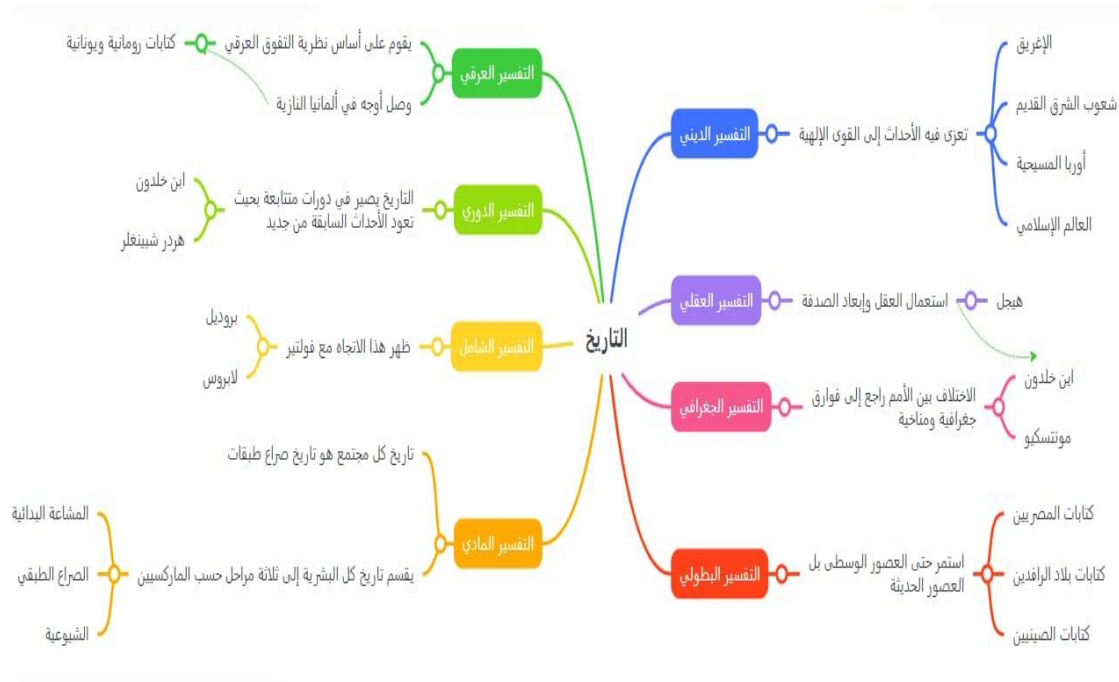
ليست سوى خطوات ممهدة لمرحلة التفسير. ويسميتها العروي التعليل من خلال الجواب عن سؤال لماذا؟، ففي هذه المرحلة لا يقف المؤرخ عند استخراج الأحداث وترتيبها وتلخيصها ثم سردها، وإنما يتجاوز ذلك إلى إيجاد العلاقات الرابطة بين الأحداث ومسبباتها في إطار من المعقولة لترقى إلى درجة معرفة علمية.

وقد اختلف التفسير باختلاف المدارس التاريخية فمثلا نجده في المدرسة الإنسانية مرتبط بالعامل السياسي في تفسير الأحداث. أما المدرسة العقلانية فبدأ التفسير بإعمال العقل ومقاومة الخرافات والاستفادة من الاختراعات. أما المدرسة الماركسية فالتفسير اعتمادا على العامل الاقتصادي.

وهناك عدة إجراءات للتفسير التاريخي حسب تصنيف الباحث شكير عكي، أولا: انتقاء الأسباب وتصنيفها وفق معايير معينة، ثانيا: ترتيبها حسب فعاليتها التاريخية ثالثا: ربط العلاقات بين الأسباب وموقعها.

وأخيرا فلا يمكن الحديث عن تركيب دون تفسير للأحداث من خلال البحث عن أسباب وقوعها بالاعتماد دائما على الأبعاد الثلاثة للتاريخ الزمن والمجال والمجتمع. من خلال إعادة ترتيبها وضم وجمع شتاتها لتركيب معرفة تتلاءم والإشكال التاريخي الذي انطلق منه المؤرخ.

شكل (2) خريطة ذهنية لأنواع التفسير



5. التركيب والمفهمة

المفهمة هي اشتغال المؤرخ بالمفاهيم وعليها، والمفهوم هو كلُّ تعبير تجريدي، وهو ما تتميز به المفاهيم التاريخية. وهو ما يشير إلى مجموعة من الحقائق والأفكار المتجاورة من حيث المعنى الدلالة، كما أنه من صفات المفهوم التاريخي: التعميم، والرمزية، والتطور.

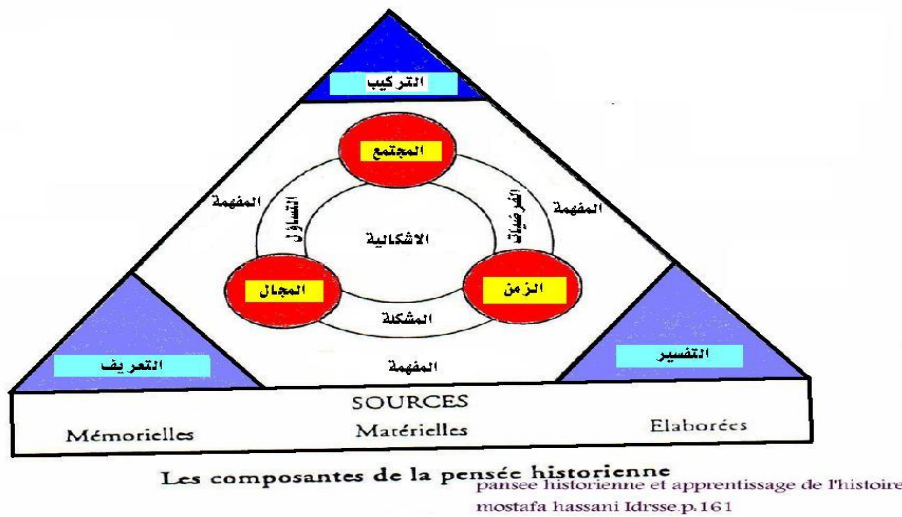
إن المعرفة التاريخية مجال لاستعمال عدة أنواع من المفاهيم من سجلات مختلفة، خاصة مع التاريخ الجديد وانفتاح التاريخ على علوم أخرى وبالتالي توسيع الحقل المفاهيمي بعضها من إنتاج المؤرخ، وأخرى تنتمي لحقول مساعدة في دراسة التاريخ كالاقتصاد، الانتروبولوجيا، الجغرافيا، الفلسفة والسوسيولوجيا وغيرها.

تعدد الحقول المعرفية المساعدة في درس التاريخ تفرض على المؤرخ " أن يحقق حركة مستمرة ذهابا وإيابا من الوثائق إلى الإطار المفاهيمي، ومن الإطار المفاهيمي إلى الوثائق. فلا يكون توليفه مجرد إصاق لأجزاء مختلفة" (دوس، 2009، ص 378). فهو مطالب أن يعطيها بعدها التاريخي مع احترام خصوصية المرحلة التي ينتمي لها المفهوم حتى لا نسقط في مفارقة إسقاط مفاهيم الحاضر على الماضي أو العكس. إن المفهمة عملية تخترق جميع مراحل التفكير التاريخي من البداية إلى النهاية، سواء استعمل المؤرخ مفاهيم تنتمي للسجل التاريخي أو استعان بمفاهيم تنتمي لحقول معرفية أخرى.

خاتمة البحث:

- والخلاصة أنه وبعد التعرف على علاقة التركيب بباقي خطوات النهج التاريخي يمكن القول أن التركيب عملية تخترق جميع العمليات الفكرية انطلاقا من الأشكلة مرورا بالتوثيق، والتعريف ثم التفسير وصولا للمفهمة.
- التركيب التاريخي يتخذ أشكالا مختلفة حسب كل مرحلة.
- خطوات النهج التاريخي تتم بطريقة متداخلة وليست خطية.
- خطوات النهج التاريخي عمليات ذهنية متداخلة والفصل بينها لا يعدو أن يكون فصلا منهجيا فقط. وهو ما تأكده الخطاطة أسفله

شكل (3) خطاطة منهج المؤرخ



(مكونات الفكر التاريخي (مصطفى حسني إدريسي: مساهمة في ديداكتيكية الفكر التاريخي ص 161)

توصيات البحث:

- اعتماد تعريف دقيق لمفهوم التركيب التاريخي إبستمولوجيا يتم اعتماده في منهاج المادة حتى يكون هناك انسجام بين ما هو إبستمولوجي وما هو ديداكتيكي.

- تعريف دقيق لكل خطوة من خطوات النهج التاريخي، وتبيان علاقتها بباقي الخطوات الأخرى حتى يسهل تطبيقها على مستوى الممارسات الصفية.
- إدراج خطوات النهج التاريخي بما فيها التركيب، والتعريف بها وبأهميتها في بداية الكتب المدرسية.
- الاهتمام أكثر بالجانب المنهجي في تعلم التاريخ، بدل التركيز على الجانب الكمي والحفظ والشحن.

لائحة المراجع:

1. وزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية (2007) التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مديرية المناهج.
2. العلوي الأمrani، عبد العزيز ديسمبر (2006)، " من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد. نحو تطوير المعرفة التاريخية في الوطن العربي"، مجلة فكر ونقد، العدد 84، ص 7.
3. العروي، عبد الله، (2005)، مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء.
4. حسني، مصطفى، (2021)، الفكر التاريخي وتعلم التاريخ، دار ابي رقرق للطباعة والنشر.
5. الصديقي، محمد العربي، (2013)، التعريف في منهج المؤرخ: إضاءة ابستمولوجية مساهمة في ديداكتيكية التاريخ، مطابع الرباط نت.
6. فرنسوا، دوس (2009)، التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الظاهر المنصوري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى بيروت.
7. صهود، محمد، (2003)، التحقيب التاريخي في المرحلة الثانوية التأهيلية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية علوم التربية، الرباط.
8. عكي، شكير (2010\2011)، تعلم التفسير التاريخي، مقارنة ديداكتيكية وفق مدخل الكفايات (الجدع المشترك نموذجاً)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علوم التربية.
9. واهمي، خديجة، (2002)، محاولة وضع نموذج ديداكتيكي في التاريخ، دار القرويين، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

الفرنسية:

- HENRI, B.(1911) .LA SYNTHÈSE EN HISTOIRE, FÈLIX ALCAN.
- Mostafa, H. (2005) . pensé historienne et apprentissage de l'histoire, l'harmattan,.

Doi: doi.org/10.52133/ijrsp.v3.31.8